زيندانيا

قصة قصيرة

د.بسنت نشأت

الخازندار
BLACK INK
الحبر الأسود

زيندانيا "حكاية الملك والطباخ" (قصة قصيرة)

دار الحبر الأسود للنشر و التوزيع

****

العنوان: زيندانيا (حكاية الملك و الطباخ

الكاتب:بسنت نشأت

اخراج فني: الخازندار للنشر الالكتروني

جميع حقوق النشر الالكتروني محفوظة للكاتب/ة تحت اشراف موقع الخازندار للنشر الالكتروني، و غير مسموح بنقله أو مشاركته أو نشره الكترونيا دون اذن مكتوب من الكاتب

بالتعاون مع :

الخازندار للنشر الالكتروني

زينـدانـيا

"حكاية الملك والطباخ"

قصة قصيرة

د/بسنت نشأت

في يوم من ذات الأيام جلس الملك «أدمز» على مائدة طعامه في قصره الكبير بمملكته الصغيرة «زيندانيا»، وجاء خادمه ووضع الطعام على المائدة كعادته، وكان أمام الملك حساء من البروتين؛ هو حساؤه المفضل، ويُوضع في وقت غدائه وبينما هو يضع ملعقته في حسائه إذ شرد عقله وعرض حالته على نفسه، فوجد الملك أن يومه مكرر مثل ما يفعله كل يوم، يبدأ باستيقاظه ثم فطوره ثم قراءة بعض الكتب وتوقيع بعض الأشياء ثم وقت غدائه الذي يمضيه وحيدًا بعد موت زوجته «أراميس» وذهاب ابنه «جوزيف» في هذا الوقت لركوب الخيل، لاحظ أن حياته كلها عبارة عن دائرة يدور فيها بدون تغيير؛ حتى حساءه هذا لم يتغير!، وحين رجع الملك من لحظة شرود وتيه عقله أو بالأخص إفاقته!، وبدا وكأنها المرة الأولى التي تبصر فيها عيناه ووجد ملعقته مازالت في يده، ومازالت ملعقته في حسائه، لا إراديًا نظر إلى حسائه في ذهول وأخذ يحرك ملعقته فيه بشعور يغلبه الملل، ثم فجأة توقف عن تحريك الملعقة ورفع رأسه كمن يرفع رأسه حين تأتيه فكرة، ثم صاح مناديًا على خدمه : «استعدوا».. فسأله كبيرهم: لماذا ؟، فأجابه بحسم : «لقد قررت تنفيذ مسابقة طبخ أفضل حساء في أرجاء المملكة كلها، على أن يأتي جميع الرعية مهما كانوا فقراء أو أغنياء، ويكون الملك هو الحكم على حسائهم، وأنه في حال إعجابه بحساء أحدهم دون الآخر فسيجعل للمُعد جائزة كبرى، واحتفالية ضخمة في أرجاء المملكة وسيكون هذا بمثابة تحفيز لجميع الرعية وبمثابة كسر لحاجز الخمود والجمود في أرجاء المملكة؛ فلم تقام احتفالية منذ وقت طويل جدًا، كانت نفسية الملك بحاجة إلى ذلك؛ إلى أقل تغيير في يومه المتكرر.

وبالفعل أُعد المكان لذلك، وكان خارج مكان قصره في إحدى القرى، أذاع الخبر الحاشية، وكانت هناك طوابير ضخمة لتقديم أفضل حساء لديهم للملك، ولكن أغلبهم من الفقراء ومتوسطي الحال بالطبع؛ لأن الأغنياء في المملكة لهم خدمهم ولا يطبخون، ومر يوم ويومان على المسابقة، وقُدم حساء من مختلف الأنواع أُعجب الملك ببعضهم، ولكن لم ينبهر لمذاق فيهم كثيرًا ، كان الملك ينتظر أكثر من هذا، كان ينتظر أن يتغير شعوره هذا بالملل إلى شيء آخر لا يعلم ما هو!.

وجاء اليوم الثالث وأُحضر له طبق حساء وتذوقه، بمجرد أن أخذ الملك الرشفة الأولى منه كان كأنه وُضع في عالم آخر، وأحس بأحاسيس تواتيه فرح ثم حزن يعقبها يأس ثم أمل، لم يفهم الملك هذا، وأيضًا لم يفهم مكونات الطبق رغم بساطته وحاسة الملك القوية القادرة على تمييز الطعوم المختلفة، ولكنه كان غريبًا كأحاسيسه ومعانيه ..كان فيه مذاق البروتين ولكنه لم يكن بروتينًا من اللحم، ولكن كان مذاقه مميز جدًا كاللحم، كان بسيطًا ويبدو على مكوناته البساطة والقلة ولكن رغم هذا كان مميزًا.

كان هذا هو الطبق الذي يريده، كان هذا هو الحساء المنشود ..كان هذا الاختلاط من الأحاسيس هو الذي أراده.

على الفور أمر الملك بإحضار صاحب هذا الحساء؛ فجاء أب فقير ومعه ابنه إلى جواره، فسأله الملك في ذهول :» أأنت من أَعدَّ هذا الحساء!؟»، رد الرجل باحترام: «نعم»، فاستفسر الملك بفضول :»من أين جئت بوصفته؟!»، فأجابه الرجل على الفور :» من زوجتي» تطلع إليه الملك متفحصًا وتساءل: «وأين هي الآن، لِمَ لم تُعده ؟!، لِمَ لم تأتي معكم هنا؟»، في هذه المرة رد الابن :» لقد ماتت»...

صمت الملك لفترة لا يعرف ماذا يقول، حتى تحدث بحماس: «إنها وصفة رائعة لقد أعجبتني»، ووجه حديثه للابن: «يجب أن تكون فخورًا بها حقًا لقد أعددت وصفة مميزة»، فرد الابن عليه :» نعم؛ أنا فخورٌ بها، كانت هذه الوجبة المميزة تعدها لنا في الأيام الجيدة!»، قالها وهو يبتسم ابتسامة صغيرة بوجهه البريء الحزين بعض الشيء. ثم خرج الأب والابن.

كان يواتيهما شعور بالراحة وقليل من الفرح فقد سنحت لهما الفرصة لمقابلة الملك على الأقل وأنه أثنى على حساء والدة الصبي وزوجة الأب، كان شرفًا عظيمًا لأي أحد، فهذا الملك.

استمرَّ مُقدمي الحساء بعد هذا الأب والابن بتقديم وصفاتهم للملك، ولكن لم يُعد

أحدهم حساء مثلما أعده الاثنان، ظل طوال المسابقة يفكر في حسائه الذي كان طعمه في عقله أكثر منه في فمه!، كان كأنه سحرًا أُلقي عليه!.

وانتهت المسابقة بالفعل، وكان الملك قد حسم رأيه على أن الأب وابنه هما الفائزان، وبعث بحاشيته ليبحثوا عنهما، وأمر بتجهيز الاحتفالات لإعلان اسمه، واستضاف جميع من كانوا في المسابقة، تبقى فقط أن يأتي الأب وابنه، ولكن في الواقع لم يأتوا أبداً، وكان من قدِم فقط هم حاشيه الملك حاملين بخبر وفاة الأب وابنه منذ يومين !...

أُلغي كل شيء، ألغي الاحتفال واسود وجه الملك بعد أن كان مستبشرًا كما لم يكن منذ مدة طويلة، وحينما انتهى كل هذا ، سأل حاشيته:» كيف ماتا؟!»، فأخبروه أنه حين سألوا عليهما وجدوا أنهما كانا قد ماتا من البرد مشردين بدون ملجأ في الشارع! ..فسأل مجددًا: «هل كانا دائمًا في الشارع هكذا ؟!»، قالوا: «لا؛ كان لهما بيت ولكننا حجزنا عليه منذ مدة؛ لعدم مقدرتهما على دفع الضرائب!»...

الملك كان مصدومًا لسماع هذا؛ بأنه هو سبب جعلهما مشردين ونتيجة لذلك أصبحا في الشارع ثم ماتا فيه من البرد!، ثم سأل الملك بعد ذلك : «قد أخبروني أن الأم ماتت هل تعرف السبب؟» فأجابه كبير حاشيته : نعم سيدي، كانت بحاجة لنوع معين من الدواء وطعام محدد، وكلاهما لم يتوفرا لها لفقرهم الشديد، صرخ الملك واقفًا : «أو تخبرني بهذا الآن!، جميعهم ماتوا؛ أحدهم من البرد والجوع وآخر من المرض والجوع أيضًا وأنت تخبرني الآن!!، لماذا لم يقل أحدكم شيئًا؟!»، أجاب الخادم: هذا إجراء روتيني مُتبع مع كل من لا يستطيع دفع الضرائب هذا بالنسبة لتشردهم، وقد جئنا بأوراق تقول أن حوالى 16 بيت قد أصبحوا ملكًا للدولة بعد عدم سداد أصحابها للضرائب، وقد وقعت على ذلك مولاي، فقال الملك في صدمة عاجزًا: « أنا...؟!، أنا وقعت على أوراق تعطيني الحق لكي اجعل رعيتي مشردين؟! إما أن يموتوا بردًا أو جوعًا أو مرضًا أو جميعهم!!..»، وأكمل في حسرة» ولمَ لم يقل أحد من الرعية شيئا،» فرد خادمه مطأطأ الرأس: «إنك الملك، وما يقوله الملك يُنفذ حتى وإن لم نرض به ..كسؤالك هذا ووجوب

ردنا عليه حتى وإن لم نرتضي أن نخبرك بهذه الوقائع لأننا نعرف مدى سوء حالتك الآن وتأثير هذا عليك».

همهم الملك بألم: «حقاً؛ أهكذا إذن حال الملك وهذا حال الرعية!»، ووقف متعجبًا من هذا المفهوم ومن نفسه بتغافله عن كل هذا، ثم أمر بانصرافهم جميعًا، وظل الملك في غرفته يومًا كاملًا بدون مأكل أو كلام ..فقط حزينًا في غرفته، ثم جاء إليه ابنه ليلاً؛ لعله يستطيع أن يدفعه للأكل على الأقل، وضع يده على كتف أبيه الجالس على السرير وهمس له:» لماذا تبكي يا أبي؟»، فرد عليه: «جوزيف؛ يومًا ما ستصير ملكًا ويكون لك ابن، أريدك أن تخبرني ماذا سيكون رد فعلك حين تعلم أنك طوال فترة حكمك هذه كنت سببًا في موت العديد من الرعية وتشردهم، وأنك لم تدري عن هذا إلا بعد أن هرمت في كرسي المُلك، فشرعت تبكي ثم جاء ابنك وسألك لماذا تبكي يا أبي؟، ماذا ستقول له ؟!، لن تستطيع أن تجيبه بأن أبيك قاتل وأنك خائف لأنه لولا هذا الحدث الذي نظمته ما كنت عرفت يومًا بشاعتك وغفلتك، ولا كنت ذقت مرارة الشعور أن يكون ابنك قاتلًا مثلك دون أن يعلم أيضًا، أنت ستتحمل كل هذا صحيح!» فزفر ابنه وتحدث بهدوء: «هل كل هذا بسبب موت هذه العائلة ؟!» فنظر إليه الملك متأملًا وهو يجيب :»لا؛ موت هذه العائلة كان النور الذي أضاء لي عيني وجعلني أرى كل هذا، جعلني أعرف من أنا ..»، فحاول ابنه أن يهون الأمر بكلماته المتفاخرة:» أبي أنت لست بقاتل، أنت ملك»، فضحك الأب لذلك ثم بكى كثيرًا قائلًا :»بلا؛ أنا قاتل.»، تدخل جوزيف ليثنيه عن ذلك بالكلام :» أبي..»، لكن أوقفه أبوه أدمز وأشار إليه آمرًا:» دعني وحدي الآن»، حاول الابن جوزيف أن يكمل حديثه: «ولكن...»، قاطعه أبوه أيضًا وقال مجددًا «دعني ووحدي الآن»، فتركه الأمير جوزيف وحده، وكان اليوم الثاني أيضًا لانقطاعه عن الطعام قد أتى، وكان أدمز يلوم نفسه طوال هذا اليوم أيضًا :» كل هذا لأني لم أُصغى جيدًا، فقد قال لي هذا الابن الحزين بأنه كان يتذوق هذا الحساء من أمه في الأوقات الجيدة؛ كان يعني أنهم لم يجدوا ما يأكلوه غالبًا، وكانت هذه الوصفة التي أعداها لي كانت تعُدها أم الفتى في وقت وجود ما يؤكل.»، أخذ الملك يُحدث نفسه

هكذا بهذه الخواطر حتى غفا، وجاءت له في حلمه زوجته «أراميس» تحدثه:» أدمز»، فرد عليها في لهفة:»أراميس، ارشديني كما كنتِ تفعلين دومًا، ماذا أفعل الآن بعدما عرفت كل هذا؟!.» فابتسمت إليه و أجابت برفق:»أدمز، أنت تعرف ما عليك فعله، فقط قم من سريرك وامسح حزنك عنك»، فغمغم بصوت حزين: «لا أقدر أراميس «، فأكملت حديثها له:»أدمز، صف لي كيف رأيت الأب وابنه!»، فأجاب وهو يتذكرهما: «كانا مبتسمين رغم حزنهما، كانا واقفين رغم ضعفهما»، فعادت تسأل:» وكيف وجدت حساءهما؟!»،

فرد بحماس: «كان له طعم فرح ثم حزن، يأس ثم أمل.»، فابتسمت أراميس قائلة:» الآن أنت فهمت ما لم تفهمه سابقًا عن الابن

والأب والحساء كذلك.»، فسألها أدمز متعجبًا:» كيف فهمت هذا بالضبط، ماذا فهمت؟!»، فابتسمت لهذا السؤال وقالت له:» افعلها!»، ثم انصرفت..

فقام الملك بعدها من نومه متعجبًا، محدثًا نفسه أفهمت أنا ما لم أفهمه من قبل!، سكت الملك برهة ثم رفع رأسه وتبسَّمَ لأول مرة منذ مدة، وقال: «شكراً»، ثم غادر سريره، يبدو كأنه فهم فعلاً ولكن ماذا فعل ؟!، ذهب إلى المطبخ الملكي وأحضر قدرًا كبيراً!، كانت ضجة عارمة في المطبخ.. استيقظ على إثرها جميع من في القصر ومن بينهم الخدم والحاشية؛ كان الوقت ليلاً وأسرعوا إليه في المطبخ متسائلين ماذا يفعل ملكهم؟!، فأجاب عن تساؤلهم مبتسمًا: «أريد مساعدتكم»، تعجبوا جميعًا ووقفوا متسمرين، فحركهم الملك بكلمته: « أسرعوا»، ووجه حديثه إلى حاشيته «من منكم كان في المطبخ في اليوم الثالث للمسابقة يشاهد ماذا يصنعون في الداخل؟!»، فرفع أحدهم يده، فأشار إليه متسائلًا: «أتتذكر ماذا وضع هذا الأب وابنه لكي يعدا هذه الوصفة وكيف؟»، أجابه الرجل من فوره :» نعم؛ أعتقد ذلك»، فرد الملك مستفسرًا: «نعم!، أم تعتقد ذلك!»، فقال: «بل؛ نعم سيدي»، بصوت مسموع للجميع أكد الملك :» لا تناديني سيدي مجدداً، فأنا لم أعد ملككم!.»، تعجب الجميع من ذلك وتوقفت

أيديهم عن العمل ونظروا إليه، فأكمل الملك:» إلى ماذا تنظرون.. أكملوا ما تفعلونه»، فعادوا لعملهم وفقًا للخطوات التي يذكرها زميلهم والطريقة وأخذ مع خدمه يُحضرها ويُعد معهم بكل عفوية ونشاط كأنه صغر سنه!، وعندما انتهوا قال لهم:» أريد عربة ضخمة لتحملها إلى القرية التي كان فيها هؤلاء الرعية الجوعى المشردين»، ونادى على حاشيته وقال لهم:» بالطبع تعرفونهم جميعاً، دلوني عليهم»، فنفذوا أوامره وأمضى الملك النهار بطوله يوزع الطعام، هذه الوصفة السحرية للحساء الذي أعده مرة أب وابنه له ومن قبله الأم التي ماتت، والآن الملك يعده وينشر هذا السحر على كل من حوله، بجانب هذا كان قد أخذ معه كاتبًا وقال له دون جميع ما يطلبونه أو ما يقولوه؛ اعرف لي حالهم وماذا يحتاجون، ففرغ الملك وعاد إلى قصره ثم بعد ذلك أمر أن يُجروا عدة تعديلات على قانونهم هذا؛ مفادها أن لا يُجرم أي فقير ما فيه لعجزه عن سداد الضرائب، وأن يُمنح الملك صلاحيات محدودة، وأضاف قانون خاص بالمظاليم؛ وأنه من حق الشعب أن يتظلم ومن واجب الملك أن يستمع لمظلمته على الأقل، ثم بعدها كتب قرار وفيه بأن يتخلى لابنه عن الحكم على أن يحكم بالعدل تحت سلطة رعيته لا سلطته هو، ثم أمر بالكاتب ليأتي فجاء وسأله: «أدونت كل شيء؟» أجابه الكاتب:» نعم»، ارتاح الملك وقال له: «الآن؛ أريد تنفيذ كل كلمة مدونة معكم سواء كانت طعام لهم أو ملجأ أو دواء، نفذوا لهم ما طلبوا» هكذا قال لكل من كانوا مجتمعين حوله من القصر، وأمر بعدها بأن تقام احتفالية ضخمة أخرى وجنازة كبيرة للأم والأب وابنهما، وأن يُفتح المطعم الذي كان فيه المسابقة كمطعم عام لفقراء هذه المنطقة؛ يعملون به ويقدمون حسائهم اللذيذ الذي أعدوه وأن يبدع كل منهم فيما يحب، وأن يكون هناك يوم رسمي لحساء هذا الأب الذي أعده تأكل فيه جميع المملكة من هذا الحساء على أن يكون الملك هو خادم هذه المائدة والمعد لهذا الحساء وأن يساعد من يعملون معه على قضاء حوائجهم بما يستطيع، ثم ترك تاجه الموضوع على رأسه ووضعه على رأس الملك الجديد «جوزيف» قائلًا: «اليوم أسلم لك «زيندانيا» على حالٍ أتمنى أن يكون أفضل مما تسلمتها عليه، وربت على كتف ابنه وقال له: «أتوافق؟»، فتمتم ذاهلًا: «نعم»، فقال الملك: « قد وِليت ملكاً، على ألا تجعل بينك وبين الناس سدًا وأن

ترعى حقوقهم وأن تكون بينهم، وألا تجعل هذا التاج همك فيضيع معك شعبك، كن ملكًا بنَاسِكَ لا بتاجك، هذه نصيحتي لك إن كنت تريد هذا التاج أم لا!»، فرد جوزيف طائعًا:» ماذا ترى أنت يا أبي؟»، فأجابه الملك:» منذ الآن الرأي رأيك، ولكن إن سألتني كنت سأقول اجعله رمزاً لكل من يريد أن يكون ملك ولا تجعله نهم لكل مُلك»، فقال الابن جوزيف:»فهذا ما سيكون إذن يا أبي»، و تبَسَّمَ الاثنان لبعضهما ابتسامة الابن والأب المستبشر بالخير، وذهب الملك وترك قصره لابنه واتخذ من مسكن الأسرة القديم مسكنه؛ بجوار شعبه وفي هذه القرية التي قد مات شعبها من الفقر والجوع، وحين سُئل الملك لمَ تركت عرشك ولمَ فعلت كل هذا؟... قال: «لأن الملك الذي لا يستطيع إطعام شعبه لا يجب أن يكون ملكاً».

وأمر ببناء رمز مُخلد وأطلق عليه اسم «الطباخين الرسميين»؛ تذكيراً لهذا الأب وابنه اللذان كانا من المفترض أن يكونا طباخي الملك ولكنهما لم يكونا كذلك قط؛ بسبب وفاتهما وما كان مجهول عن وضعهما وحالهما.

وكانت هذه نقلة حقيقية في حياة هذا الملك بأن ترك منصبه وحرص ألا يجوع الشعب مرة أخرى وألا يموت من البرد.

أما عن الذي فهمه الملك من حال الأب والابن أو وصف الحساء فقد فهم أن الحزن يمكن أن يُبدل بالفرح، وأن اليأس يعقبه أمل.. وتطبيقه في حياة الأب الفقير وابنه؛ بأنهما كانا سعيدين ببعضهما البعض ثم حزنا لفراق أم وزوجة عزيزة عليهما ثم أصابهما اليأس لضياع منزلهما السعيد منهما وذكرياتهما فيه، ولكن قد تجدد إليهما الأمل فلم ينسيا بعضهم أبداً، وكان مجيئهما للمسابقة ليس بغية المال أو المنصب «الطباخ الملكي»، بل أن يحييا الذكرى الجميلة بإعداد حساءهما الذي برعت فيه الأم، وبمقابلتهما الملك؛ فكان يصعب على الفقراء مقابلته وأملهما الآن في ازدياد بعد موتهما؛ فلقد تغير حال المملكة للأفضل وحال من حولهما ونُشر حساء الزوجة والأم هذه في أرجاء المملكة وتذوقوه جميعاً، وكان بذلك ذكرى وإحياء لها حتى بعد مماتها، وكذلك

التذكار الذي أعده للأب وابنه؛ هو باق ليشهد عليهم وليحكى قصتهم وقصة من مثلهم، الآن زاد الأمل.

أما على الملك فتطبيقه أنه كان فرِحًا في يوم من الأيام رفقة زوجته مثله مثل هذا الزوج الفقير، ثم تحول هذا الفرح إلى حزن منذ فراقها ثم يئسَ الملك لحاله هذا وروتينه المعتاد، ثم جاءه الأمل بعد وفاة زوجته وبعد يأسه هذا من أن يفعل شيئاً للأب وللابن أيضًا بعد حزنه عليهما، ولكن تجدد الأمل بأن استطاع تغيير كل شيء وعرف ماذا أراد وغَير إحساسه هذا ..الآن فقط زاد الأمل وارتاحوا جميعاً.

الآن هنا يأتي السؤال لماذا فعل الملك أدمز ذلك؟

-لأن قصة الأب وابنه كانت القصة التي غيرت حياته.

أتمنى أن تغير هذه القصة حياتك أيضًا...

تمت

بسنت نشأت